# حول « الوضوح والغموض »

## للاستاذ عباس فضلي خماس

روى لنا الدكتور طه حسين في مقاله ( حول قصيدة ) حادثة طريفة عن قصيدة المقبرة البحرية للشاعر الفرنسي بول فاليري ، وكان غرضه من استعراض ما دار بين ادباء فرنسة وشعرائها بعد ذيوع هذه القصيدة ان يطرق باب بحث طالما اشتاق الادباء الى طرقه وهو « مقياس فهم الشعر والادب » . وكان بحث الدكتور حائما حول هدف اساسي وهو « هل يحسن بالشعر ان يكون واضحا لا خلاف فيه. او ان بعض الغموض فيه مغتفر بل مطلوب ؟ » وهذا المطلب في نظري جدير بالبحث والتمحيص الى حد بعيد ؛ ولعل المضي في استقصائه يؤدي الى اظهار حقائق جديدة في عالم الأدب ، تقلب أوضاعنا الراهنة رأسا على عقب ، ويلوح لي ان التوسع في بحث هذا الموضوع بحثا مستفيضا دقيقا ربما انزل بعض امراء الشعر وملوك البيان الذين اعتلوا في اذهان الناس العروش الى الحضيض ، وربما رفع بعض خاملي الذكر من الشعراء والادباء الى تلك العروش وقدم اليهم معتذرا صولجان الشعر والادب الذي شاءت الاقدار ان يغتصب منهم اغتصابا .

لقد كتب علينا نحن ابناء هذا الجيل ان ندرس الادب درسا آليا كدرس المعادلات الرياضية والرموز الكيماوية . وقد ترتب على طرز دراستنا هذه ان نكون آليين في نظرنا الى الشعر ، آليين حتى في فهمنا اياه ، بل وفي طريقة تفهمنا . وهذه النتيجة خلقت فينا

---

جد ، والمزح مبطنا بعظة . ونحو ذلك ، في التزام الجد خروج الى الجفاء ، وانحدار الى الجمود

هذا الى أن الرسالة يجب أن تكون بجانب دعوتها الى الاصلاح سجلا للنزعات الادبية على اختلاف أنواعها ما لم تكن النزعة مستهترة ، تميط قناع الحياء ، وتخرق حجاب الحشمة

وأخيرا لك الشكر — يا أخي — على ماحوى كتابك من غيرة صادقة ، وعاطفة نبيلة ، وما أثرت من موضوع يستحق العناية ، ويدعو الى طول التفكير ؟

أحمد أمين

نزعة التقليد لا في مزاولة الشعر والادب فحسب بل في طريقة تفكيرنا وفي اساليب محاولتنا فهم اغراضه ومراميه . مبتعدين في ذلك عن السنن الطبيعية الابتعاد كله . فليسح لي الاستاذ الكبير بشيء من الحرية فيما أعرض له .

### الغموض في الشعر والادب

للغموض في الشعر والادب اسباب معينة واضحة ؛ اولها ضعف الاسلوب في التعبير عن الشعور ، وثانيها غرابة التعبير وعدم انطباقه على الطريقة المألوفة عند جمهور القراء . وثالثها نقص جزء مهم في الصورة التي يتخيلها الشاعر ويريد ابلاغها الى النفوس. ورابعها ازدحام جملة من الصور الفكرية وتداخلها في رقعة واحدة ضيقة بحيث يتعب العين تبينها دفعة واحدة ويجهد الذهن تصور علاقة اجزائها بعضها ببعض . وخامسا اظهار القطعة الفنية قبل نضوجها في الفكر ، وقبل اختمارها في النفس . وسادسا ابتعاد الصورة التي يرسمها الشاعر عن تصور الجمهور ومداركهم مما هو مألوف عندهم ومعهود لديهم في معارفهم ومشاعرهم الماضية والحاضرة ، حتى في معارفهم ومشاعرهم التخيلية ؛ واجزاء الصورة الخيالية التي ترتسم في ذهن الانسان تتكون في الحقيقة في المواد التي تتألف منها معارفه ومشاعره الماضية والحاضرة عينها

هذه هي العوامل الاساسية لغموض لغة الشعر والبيان اذا كنا نستند في بحثنا الى الحقائق الصريحة . اما اذا اردنا ان نموه على القراء فنستطيع ان نقول ما يخرج عن نطاق هذه العوامل ونستطيع ان نرغم الناس على ان يتصوروا في القطعة المعقدة بسبب من الاسباب الآنف ذكرها غموضا ينطوي على إبداع فني ، ونقول لهؤلاء الناس ان اذواقكم الفنية أحط من ان تصل الى رؤية هذا الابداع ، وان مستوى شعوركم وتفكيركم أوطأ من أن يدرك هذا الفن البديع المتلفع بهذا الغموض ..

لقد جاز الشعر والادب ادوارا غريبة ، ووجد الشعر والادب في ظروف عجيبة ؛ وكان العامل في هذه الغرابة وهذا العجب النقدة من الكتاب والادباء ، فقد لعب بعضهم ادوارا طمس فيها الحقائق وابرز الى الناس الغث سمينا وارغمهم على اعتبار السمين غثا .

ولولا شعوذة هؤلاء النقدة ومهارتهم في تصريف الكلام ومقدرتهم في البيان لكان جمهور الناس يرون في ترتيب طبقات الشعراء والادباء غير مايرونه الآن . نعم لو ترك هؤلاء الكتاب الناس وشأنهم يقرأون الشعر بصورة طبيعية ويفهمونه كما هو

المقصود منه ، لما كنا الآن مرغمين على ان نؤمن بالاحكام الثابتة في المفاضلة والموازنة بين شاعر وشاعر او بين اديب واديب .

ولكن اعتدادهم بانفسهم ساقهم الى ان يقولوا مثلا ان الشاعر الفلاني اراد بقوله كذا ... كيت وكيت وكيت — ولم يقصد كيت وكيت

ولعل أقوى حجة يتذرع بها من يرون تحت الشعر الغامض ابداعا فنيا ، هي ان الانسان اذا جابه منظرا رائعا في ثوب جمال من مناظر الكون يرى في المرة الثانية فيه ما لم يره في المرة الأولى ويلتذ بما يراه في المرة الثالثة اشد من التذاذه بما رآه في المرتين الأولى والثانية . اما انا فاعتقد ان هذه الظاهرة لايصح على الاطلاق اتخاذها دليلا على اعتبار الغامض من الشعر ذا قيمة فنية .

فكل بديع في هذا الكون من منظر الى صوت الى شعر يلازمه الوضوح كيفما تكيف وتطور وتصور . والوضوح جوهر الجمال الحقيقي ، اما « الغموض » بمعناه الذي يعرفه الناس فلا يجتمع مع الابداع أو الجمال في صعيد واحد ، وقد يجهد الانسان نفسه ويكد ذهنه اذا سمع قطعة شعرية فيها شيء من الغموض ، وقد يجد في هذا الاجهاد والكد لذة التوصل الى الصورة الذهنية المقصودة . فليس من الضروري ان تعتبر هذه اللذة ناشئة من تلمس الابداع ، وانما هي ناشئة من التوصل الى نتيجة بعد اجهاد وكد .

لقد ذكر الاستاذ العقاد جملة عبارات يؤيد بها ان وراء الغموض في الشعر والأدب ابداعا فنيا ، وكان من جملة ماذكر ان الانسان قد يقرأ كتابا غير مرة فيجد فيه كل مرة من المعاني مالم يره في القراءات السابقة . وعندي ان تفسير هذه الحقيقة الراهنة هين ، وعلتها واضحة لاغامضة . هذا اذا لاحظنا ان معارف الانسان التي تنمي فيه شعوره وذوقه ومداركه تتبدل على الدوام وتتكيف حسب الظروف المختلفة التي يكون فيها . فالاثر الذي يتركه مطالعة كتاب في نفس الانسان في وقت ما ذو علاقات متنوعة بشعوره وذوقه ومزاجه في ذلك الحين ، وان الانطباعات التي تتولد في نفسه من معاني ذلك الكتاب تتناسب مع ماذكرناه في ذلك الحين فقط . اقول في ذلك الحين فقط . لأن الشعور والذوق والمزاج ظواهر نفسية تتبدل وتتطور بالنظر الى الظروف المحيطة بالانسان . فليس ثمة غرابة اذا وجد الانسان في مطالعاته المتوالية لكتاب ما معاني جديدة لم يكتشفها في مطالعاته السابقة . ولاينبغي ان تعتبر هذه الصفة في الكتاب غموضا ، لأن تبين جميع المعاني والمرامي المقصودة في الكتاب دفعة واحدة امر مستحيل ، ولايتمكن الذهن من استيعاب جملة معان دفعة واحدة . والذهن مثل العين او سائر الحواس . فكما أن عينك اذا وقعت على رقعة تحتوي على عدة اشكال لاتحيط بها جميعا دفعة واحدة ولكنها تتمكن من ذلك بتوجيه البصر الى كل شكل بصورة خاصة ، وكما ان الأذن اذا سمعت الحانا مختلفة لايمكنها ان تؤلف بين هذه الالحان الا اذا أنصتت لكل لحن على حدة ، كذلك الذهن لايتمكن من الوجهة البسيكولوجية — ان يدرك كل ماأودع في كتاب من معان دفعة واحدة ، وهذا مايجعل الانسان يكتشف في قراءاته المتوالية لكتاب واحد معاني جديدة .

ولكن الخاصة من الأدباء يأبون الا ان يخترعوا لهذه الظاهرة الطبيعية النفسية اصطلاحا اديبا وهو مارمى اليه الاديبان طه والعقاد فاسموه « بالغموض » ، فنرد لنا الاول قصة « المقبرة البحرية » للشاعر الفرنسي بول فاليري وتبسط في وصف مادار حولها من مناقشات وآراء في غموضها وعدم اشتمالها على معان واضحة . فقال من جملة ماقال ان : « كل هذه الآراء وآراء أخرى للشاعر العظيم في هذه المقدمة الممتعة ان لم تبين المعاني التي اودعها قصيدته فهي تبين شيئا آخر اظنه اقوم واجل خطرا من هذه المعاني ، وهو مذهب الشاعر في فن الشعر ومايبغي له من الارتفاع عن هذا الوضوح الذي يفسد الفن افسادا ويقربه من الابتذال » .

ولكن ! اذا لم تتمكن القصيدة من بيان المعاني التي يودعها الشاعر فيها فهي اذن ليست قصيدة ، ولك ان تسميها ماشئت .

ان لم تستطع ان تودع المعاني التي تريدها الالفاظ التي تقولها فانت والصامت او الهاذر سواء .

وماهو هذا — الشيء الآخر — الذي يظنه الدكتور اقوم واجل خطرا من هذه المعاني ؟ :

« هو مذهب الشاعر في فن الشعر »

لاريب في ان مذهب الشاعر في فن الشعر أجل خطرا من المعاني باعتبار ان العناية بالمذهب هي التي تقوي المعاني وتصقلها فتظهرها ناضجة واضحة براقة ، ماضية في نفوذها الى النفس . ولا أدري كيف نوفق بين هذين النقيضين : الا يتمكن الشاعر من ايداع المعاني التي يريدها في قصيدته ، وهو بعد ذلك يستطيع ان يظهر مذهبه في فن الشعر .

ويظهر ان الدكتور بعد ان يصل به القلم الى عبارة « ويقربه

من الابتذال ، يدرك ان ماأورده « غامض » للتناقض الظاهر فيه فيستدرك الأمر بان يقول : « فهو يرى مثلا ان جمال الشعر يأتى من انك تجدد اللذة الفنية فى نفسك كلما جددت قراءته ، ومن انك تستكشف فى القراءة الثانية من فنون الجمال مالم تستكشفه فى القراءة الاولى ، بل تجد فى كل قراءة فنونا جديدة من الجمال لم تجدها فى القراءات التى سبقتها »

هذا صحيح اذا تمكن الشاعر من ايداع قصيدته الصور الذهنية التى تخلق للقارىء هذا الجمال . والصور الذهنية فى الواقع سداها الالفاظ ولحمتها المعانى التى تبرز تراكيب هذه الالفاظ فى عبارات وجمل

فجمال الشعر اذن يأتى من طريق مذهب الشاعر فى فن الشعر اذا كان هذا المذهب خليقا بان يظهر المعانى المقصودة بحلل قشيبة جذابة ؛ ومذهب الشاعر فى فن الشعر ليس اجل خطرا من المعانى الا اذا تمكن الشاعر من ان يودع قصيدته المعانى اولا . وبتعبير آخر لا يمكننا ان نعترف للشاعر بمذهب — خاص كان او عام — ان لم يودع القصيدة التى ينشئها المعانى التى يقصدها .

فاذا انشأ الشاعر قصيدة وجاء الناس يتساءلون منه ماذا اراد ان يقول بهذه القصيدة ، فهذه القصيدة اما ان تكون خالية من المعنى وأما ان يكون صاحبها عند نظمها مرتبك الافكار والخواطر مزعزع الحس والشعور الى حد انه لم يستطع ان يودع قصيدته معنى معينا . فاذا كنا نسمى هذا شاعرا ويعتبر مايودع فى منظوماته من افكار مشوشة غير معينة ولا مفهومة « غموضا » ثم نتحرى تحت طيات هذا الغموض ابداعا فنيا يزينه الينا خيالنا المحض ، فيجب ان نعتبر عوام الناس طراشعراء مبدعين بكل ماتمر بين شفاههم من عبارات مرتبكة يسوقونها عندما تثار نفوسهم ببعض الظواهر والمشاعر . ويجب اكثر من ذلك ان نعتبر الجمل المرتبكة المتقطعة المبهمة التى يتمتم بها الطفل عندما يجابه منظرا غريبا او حادثة جديدة غموضا ينطوى على ابداع فنى .

وبهذا تكون قد اسرفنا فى الاساءة الى الفن والى الابداع والى الشعر والبيان اساءة عظيمة

بغداد — عباس فضلى خماس

## اعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد ، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى ١٠٥٧

رسائل حزينة

# هل كان حبهما خطيئة . . ؟

أصحيح انى القيت بهذا اللون من الرسائل الحزينة ظلالا شاحبة كئيبة على حياتك الباسمة بين احضان الريف . وتحت سمائه الصاحية الجميلة . فأن يكن ذلك حقا ؛ وانك قد اصبحت تضيق ذرعا حتى بهذا القدر التافه من العزاء الذى اجده فى الكتابة اليك ، ترويحا لقلب محزون ونفس ثائرة مضطرمة ، فقد ينبغى لك ان تعلم ان الشجرة التى انتصبت فى الفضاء تتهزأ بالأعاصير والأنواء . ساخرة متحدية . حتى عريت من اوراقها وتحطم الكثير من اغصانها ، مايزال فى جذعها الضخم العنيد . واعراقها الراسخة القوية ، مايعينها على الصبر الى نهاية المعركة ؛ حتى ينجلى ليل محنتها قليلا قليلا . ثم يطالعها فى اعقابه فجر باسم حالم ، ينبت فيها اوراقا باوراق ، ويغشى لها اغصانا بأغصان . ويومئذ تفيىء الطيور الى ظلها الوارف الظليل : لتملأ هذه الاجواء الحزينة شدوا شجى النغم حلو الرنين . يعيد الى هذا القلب الذى هانت عليك آلامه فيضا دافقا من حلاوة المنى ولذة الامل . واذن فسأحتجن هذه الآلام من دونك بعد اليوم فى صدرى : فما يزال فيه قدرة على احتمال المزيد منها . وسأدير الحديث اليك فى هذه الرسالة حول شخص لاتعرفه ، قد آخت بيننا سهمة من الالم المشترك ، وسأنفض اليك جملة حاله وجماع قصته على اقف منك على رأى تراه له ، لانى — وانت تعرف رأيى فى المرأة — تحرجت من ابداء رأى قد يفسده ما احسه اليوم فى قلبى بسببها من جراح وندوب . والحق انها قصة تعتبر تصويرا صحيحا لمشكلة من مشاكلنا الاجتماعية . أو قل إنها ثورة عنيفة على بعض تقاليدنا الاسرة المصرية وتحطيم لها . أو قل انها استجابة حارة لهتاف الروح ودعوة القلب ، وهى لهذا الذى اسلفت لك جديرة بشىء من العناية غير قليل .

*

انحدر الى هذه الدنيا وحيدا لأبوين رزقاه على وجد للبنين بعد ماكادت الايام تشرف بهما على ربوة العمر . فتهيأت له من هذه الناحية طفولة ناعمة مدللة اسلمته الى دار من دور التعليم جعل يتخطى سنى دراستها غير وان ولا متخلف ، حتى وصل الى السنة الثانية من دراسته فى كلية الحقوق بالجامعة المصرية . وعندئذ بدأ الجدول العذب الذى كان يتسلسل فى طريقه سهلا رفيقا . يتحول الى طريق ملتوية مليئة بالجنادل والاحجار . فقد توشجت بينه وبين